المحاضرة العاشرة: المسرح من النص إلى العرض01.

يبدأ الباحث عبد الحميد منصور، قراءته لعرض مسرحية" إبليس عين في الجنة وعين في النار"، بقوله: عديد من الأسئلة والأفكار ثارت في الذهن قبل مشاهدة العرض المسرحي" إبليس عين في الجنة وعين في النار"، النص لمحمود جمال، والإخراج لمازن الغرباوي، وتمثيل مجموعة من طلبة المعهد العالي للفنون المسرحية بأكاديمية الفنون، هل سيدور موضوع العرض عن"إبليس" نفسه، أم عن أفعال إبليس؟ هل سيتم تجسيده على خشبة المسرح؟ وإذا كان فكيف؟ القائمون على العمل كلهم من الشباب، فهل سيحمل العرض سمات الشباب، الجرأة والاندفاع والطموح، وتكسير القوالب الجامدة وبذل الجهد، أم سيغلب عليه قلة الخبرة وسطحية الرؤية تشتيت الجهد والجري وراء الشكل؟[152].

والآن، وبعد أن أصغينا إلى سيل التساؤلات التي يطرحها الباحث، يمكن أن نصدر هذه المباحثة بسؤال جوهري، يضعنا في صلب إشكالية المسرح من النص إلى العرض، وهو: هل كان الباحث عبد الحميد منصور، مضطرا لطرح مثل هذه الأسئلة لو أنه تعامل مع مسرحية" إبليس عين في الجنة وعين في النار" نصا مقروءا؟ وهل كان تلقيه لهذه المسرحية نصا إبداعيا، سيحمله على افتراض كل هذه الأسئلة؟؟؟.

وتبعا لما سبق، نقول: إن هذه المحاضرة تحاول مباحثة إشكالية نقدية مسرحية، تتوزع عبر جملة من الأسئلة أهمها: هل يمكن ضم المسرح ضمن الحقل الأدبي، أم هو أوسع من أن يدخل تحت هذا التصنيف؟ هل يمكن حصر الظاهرة المسرحية، في كونها نصوصا مسرحية كتبت لكي تمثل فقط؟ هل المسرح عروض ماتعة في المقام الأول؟ هل الظاهرة المسرحية نص فقط، أم عرض فقط؟ هل النص هو مركز الظاهرة المسرحية، أم أن هناك أشياء أخرى تقاسمه هذه المركزية؟

للوقوف على حجم الارتباك الذي تلبس هذه القضية-نص/عرض أو تأليف إخراج- وسعة الجدل الحاصل حولها، خطر لي أن أصدر الحديث عنها بكلام الناقد المسرحي"نجيب سرور"في كتابه حوار في المسرح، حين يقول:"عندما تبدأ التدريبات على

---

[152] ينظر:عبد الحميد منصور، قراءة لعرض مسرحية"إبليس عين في الجنة وعين في النار"، جريدة مسرحنا،21 سبنمبر 2009م، العدد:115،ص09.

أي نص مسرحي يبدأ معها حتما النزاع بين المؤلف والمخرج، وبما أن النص قد خرج من يد الأول إلى يد الأخير، وبما أن المركب لا يحتمل ريسين، فلا مفر عادة من التنازل من جانب أحد الطرفين أو كليهما، لتنعقد بينهما هدنة تضمن استمرار سير التدريبات، وبذلك يظل النزاع كامنا في الصدور أو محصورا داخل جدران المسرح، منتظرا أقرب فرصة للإعلان عن نفسه، ثم تجيء الفرصة بخروج العرض بدوره من يد المخرج إلى الجمهور، وهنا تنتهي الهدنة لتبدأ معركة غريبة بين الصديقين اللدودين"[153].

لقد تباينت نظرت النقاد المسرحيين، إلى ثنائية (النص/العرض)، وتوزعت عبر ثلاثة آراء هي:

1-النظرية الدرامية الكلاسيكية:وهي نظرية تعلى من سلطة النص على حساب العرض، ودستورها الأول هو كتاب "فن الشعر" لأرسطو.

2-نظرية العرض المسرحي: وهي نظرية درامية حديثة مناهضة لأفكار النظرية الدرامية الكلاسيكية، خاصة فيما تعلق بثنائية النص/العرض، فهي حولت بوصلة الاهتمام من النص صوب العرض، الذي مثل بؤرة الاهتمام عد أصحابها.

3-النظرة التوفيقية: حاولت التوفيق في رؤيتها، بالجمع بين الاهتمام بالنص، وبقية المكونات التي تعمل على تحقيقه مشهديا/العرض.

مباحثة ثنائية النص/العرض:

أن النص المسرحي، هو البذرة الأساسية لإقامة زراعة مسرحية حقيقية، وهو الخلية الأولية لوجود الحياة المسرحية على أية أرض، وفي أية تربة، فهو وحده الثابت في النهر المسرحي، لأنه المجرى، وهو وحده الذي يملك قوة التحدي، تحدي الزمن والمكان، وهو وحده الذي يملك لغة إنسانية شاملة تخاطب العقليات المختلفة والبنيات المتبايتة، ولقد اعتمد المسرح دائما على تصوير جوهر الإنسان، فقد تتغير الظلال بتغير الأضواء ولكن الأصل باق، هذا الأصل الذي يبقى، بعد أن تنطفئ أضواء العروض المسرحية، وبعد أن تتفرق بالجمهور السبل، أين هو اليوم؟[154].

---

[153] نجيب سرور، حوار في المسرح، مكتبة الأنجلو المصرية للطباعة والنشر، القاهرة/مصر، 1969م،ط01، ص01.

[154] ينظر: عبد الكريم برشيد، صورة المسرح العربي، مقال ضمن كتاب –ندوة واقع المسرح العربي، مكامن الإخفاق ومواقع التعثر–، نشر الهيئة العربية للمسرح، الشارقة/ الإمارات العربية، 2011م، ط01، ص55.

ضرورة أن نؤمن –جميعا–بأن المسرح يبدأ بالنص، وبأن الحضارات قد تأسست بالكتابة وفي الكتابة، وبأن الوحي كتابة، وأنه قد بدأ من كلمة(اقرأ)، وبأن الدستور في الدول الديمقراطية كتابة أيضا، وبأنه لا يمكن إقامة دولة المسرح الحرة والديمقراطية، بدون دستور مكتوب، وبدون قانون ينظم العلاقة بين الشخصيات المواطنة في هذه الدولة، وبدون هذا النص/الديوان، والذي نخبئ فيه الحياة والحيوية ونخبئ فيه المعرفة والحكمة، ونخبئ فيه الشعرية والجمالية، فإن هذا المسرح سيظل في درجة الصفر دائما، ولا يمكن أن يكون له ماض مضى، ولا يمكن أن يكون له مستقبل سوف يأتي، وبهذا يكون من الضروري أن نعيد الاعتبار للكلمة، وأن نبدأ الفعل المسرحي من أساسه المؤسس، والذي هو الكتابة[155].

هكذا يصر أتباع النظرية الدرامية الكلاسيكية، على مقولاتهم النقدية التي تعلي من شأن النصوص المسرحية، وتهوي بما سواها من عناصر المسرح الأخرى وعلى رأسها العرض، الذي تعتبره فضلة آنية، سرعان ما تندثر ويزول أثرها بانتهاء ساعة العرض ومغادرة الجمهور.

[155] ينظر: عبد الكريم برشيد، صورة المسرح العربي، ص72.